

علامات السعادة: الصبر والشكر والاستغفار

..... ثم يقول: وأن يجعلك ممن إذا أعطى شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هؤلاء الثلاثة عنوان السعادة. دعوة عظيمة، دعوة شريفة، إذا حصلت للعبد هذه الخصال: الابتلاء: الامتحان، والصبر عليه من واجب المؤمنين، والشكر هو: الاعتراف بنعمة الله تعالى، والاعتراف بفضله، والاستعانة بنعمه على طاعته، فإذا أعطى الله العبد نعمًا فاستعان بها على طاعته، واعترف بأنها فضل الله فقد شكر. والشكر سبب للزيادة: { لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ } وسبب للثواب وترك العقاب، قال تعالى: { مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ } أي: لا يعذبكم إذا شكرتم وأمنتم وصبرتم واحتسبتم. ولا شك أن الإنسان لا ينفك في كل وقت من نعمة وعطية وهبة، عليه أن يشكر الله عليها دائمًا. فلا يفتر عن الشكر، إذا أعطى شكر، متى تتوقف نعم الله عن العبد؟ لا تتوقف، إذا فهو مأمور بأن يشكر الله دائمًا، وبأن يكثر من شكره. وأما الابتلاء فيعم الابتلاء في النفس وفي المال وفي الولد، ويعم من إذا سلط عليه من يؤذيه، أو من يحقر من شأنه، يصدق عليه أن هذا من الابتلاء. الابتلاء الذي من الله يجب أن يرضى به، وأن يصبر، قال تعالى: { وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَنَبِّئِ الصَّابِرِينَ } إذا ابتلي بشيء من الله تعالى كفقر أو فاقة، وجوع وجهل ومرض، وكذلك إذا ابتلي في بدنه بفقد حاسة من الحواس؛ كسمع أو بصر أو نطق، أو ابتلي بمرض - أنواع الابتلاء في البدن - والابتلاء في المال أيضًا والابتلاء في المال: بفقد شيء من الأموال، ونقص من الأموال والثمرات، وما أشبه ذلك، والابتلاء في الأهل، يعني: بالأمراض، وبالموت وبالمصائب، والابتلاء في ذات الله تعالى بتسليط الأعداء عليه، كما حصل للصحابه. قال تعالى: { لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ } ابتلوا في أموالهم وأنفسهم، { وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آوَأْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا } سمعوا أذى، وحصل لهم أذى، ثم قال: { وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } فصبروا واتقوا وكانت العاقبة للتقوى. فمن ابتلي فصبر، فذلك من علامات السعادة. وأما قوله: وإذا أذنب استغفر. فإن الاستغفار طلب محو الذنوب، إذا قال العبد: أستغفر الله، فكأنه يقول: يا رب أطلبك أن تستر ذنوبي، لأن الغفر هو الستر، ومنه سمي المغفر الذي يلبس على الرأس، لأنه يستر الرأس وبقية من وقع السلاح. وفي الحديث { أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعلى رأسه المغفر } والغفر: هو الستر. غفر: يعني ستر ومحا الذنوب. متى وقع من الإنسان ذنب صغير أو كبير بادر واستغفر، بادر وطلب من ربه غفر هذا الذنب وستره وإزالة أثره حتى لا يعاقب عليه. الله تعالى يأمر بالاستغفار في قوله تعالى: { قَاعَلِمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } وذكر الله تعالى عن نوح أنه قال: { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا } أي طلب من ربه أن يغفر له. النبي صلى الله عليه وسلم أمر بأن يستغفر، { وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ } مع أن الله تعالى قد غفر له { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ } ومع ذلك كان يكثر الاستغفار، في الحديث عنه قال: { إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة } والأحاديث في الاستغفار كثيرة. فالذي إذا أذنب بادر واستغفر يغفر الله تعالى له، وأما الذي يُصِرُّ على الذنوب فإنه يستحق أن يعاقب عليها إلا أن يشاء الله؛ كما في قول الله تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا يَصْرُوهَا عَلَيَّ مَا فَعَلُوا } الإصرار على الذنوب ولو كان الذنب صغيرا يصيره كبيرا. يقول: فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة، يعني كونه: شاكرا إذا أعطاه الله، وصابرا إذا ابتلاه الله، ومستغفرا إذا وقع منه ذنب. فهذه الثلاث عنوان السعادة، أي: دليل على أن الإنسان من السعداء، وذلك بأنه يبادر فيستغفر بعد أي ذنب فلا يبقى عليه ذنب، يمحو بحسناته السيئات، ولأنه يشكر الله، إذا شكر الله تعالى فقد أدى حق الله في تلك النعمة، ولأنه يصبر ويتحمل، ومن صبر وتحمل أثابه الله على الصبر { إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } وتفصيل ذلك يعني التوسع فيه مذكور في الكتب، من أراد التوسع في ذكر الصبر والشكر، يقرأ كتاب ابن القيم (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين). يقول لك: فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة في الدنيا وفي الآخرة ثم يقول أيضا: اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحيفية ملة إبراهيم دعا لك أيضا بالرشاد، أرشدك الله، الرشده هو: الاستقامة والدلالة، وضده الغواية. وطريق الرشده هو الذي يؤدي بمن سلكه إلى الهداء، وضده يؤدي بمن سلكه إلى الغواية. جعل الله الرشده والغوي متضادين { قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } وقال تعالى: { وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا } فأرشدك الله يعني جعلك من الراشدين.